

السؤال

صديقتي حسنة الخلق، كريمة ورقيقة على الفقراء، تحب تلاوة القرآن وتحاول تدبره فدائماً ما تقولي لي ما رأيك ان نتدبر كل يوم آية وتساألني عن تفسير بعض الآيات، وتريد أن تحفظ القرآن، وتتحمس جداً لقدوم رمضان وتساألني أحياناً عن الفتاوى وما حكم ذاك وذاك؟ حتى لا تقع في الخطأ، وتسعى أن يكون رزقها حلال فشاهدت حرصها على ذلك إلا أن هناك أموراً أسوء فاكشفت أنها كانت متأثرة سابقاً بالإلحاد، لكن بفضل الله وبعض مقاطع رجال الدين استقامت .. لكنها ما زالت متأثرة من أمور كثيرة كالنسوية وتشكيكها لبعض الأحاديث الصحيحة وتشكيكها في فتنة المسيح الدجال وغيره من طعن بعض رجال العلم الدين كابن باز وابن تيمية رحمهم الله فأتناقش معها كثيراً لعل الذكرى تنفعها، واستفيد جداً من موقعكم في الرد عليها لكن المشكلة بدأت أتساأل ماذا إذا كانت صديقتي عدو لي فالصاحب صاحب ! والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيفما يشاء نسأل الله ثبات فخشيت أن أفتن من مصاحبته مع إنني أعلم أن كل ما تقوم به خطأ لكنني خشيت على ديني .. ففكرت في مقاطعتها لكن لا أعلم كيف أقاطعها ..! لكن في نفس الوقت أشفق عليها وأشعر أنها فعلاً تحتاجني وتحتاج إلى أحد يذكرها وينبها فحياناً أشعر أن الله قد جعلني أصحابها حتى أنبها وأذكرها وأحياناً أشعر أنني يجب أن أقاطعها، فما العمل ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

لقد أحسنت مرتين، المرة الأولى حين أحسنت مصاحبة صديقتك فكانت حريصة على أمر دينها؛ فإن كثيراً من الأصحاب يصاحبون لأجل الدنيا ولا يهتمون لأمر دين أصحابهم.

وأحسنت المرة الثانية، حين بدأت تراجعين حدود تأثير صحبتها على دينك وإيمانك؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ** رواه الترمذي (2378) وأبو داود (4833) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (1937).

وقال تعالى: **احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَنِيمِ** الصافات/22-23 . قال عمر رضي الله عنه: (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) قال: "أشباههم"، قال: يجيء صاحب الربا مع أصحاب الربا،

وَصَاحِبُ الزَّيْنَةِ مَعَ أَصْحَابِ الزَّيْنَةِ، وَصَاحِبُ الْخَمْرِ مَعَ أَصْحَابِ الْخَمْرِ" انتهى، من "تفسير ابن كثير" (7/9).

قال الخطابي رحمه الله: "لا تخالل إلا من رضيت دينه وأمانته؛ فإنك إذا خالته قارك إلى ينة ومذهبه، فلا تُغرّر بدينك، ولا تخاطر بنفسك فتخالل من ليس مرضياً في دينه ومذهبه" انتهى، من "العزلة" (ص 141)

ثانياً:

هناك توازن دقيق ينبغي أن يراعيه الإنسان، بين ضرورة العلاقة التي تفتح باب النصيحة والإعانة على الهداية كما فعلت، وبين ضرورة مراعاة خطر العلاقات التي فيها تباينات في العقائد والأفكار والقيم، والتي قد تكون بيئة للضعف الإيماني، ولو هجر المسلم كل صاحبٍ حادٍ عن الطريق؛ كان عوناً للشيطان على صاحبه في أحيان كثيرة، ولو استمر في مصاحبة كل من حاد عن طريقه، لم يأمن خطر الزلل في أحيان كثيرة. وإنما هو طريق نهج بين وعرين، وحسنة بين سيئتين؛ وكلا طرفي قصد الأمور ذميم!!

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن مصاحبة أصدقاء يتركون الصلاة أحياناً، فكان من جوابه:

" يُنظر؛ إن كان هجرهم يؤدي إلى استقامتهم، فإنهم يُهجرون؛ تأديباً لهم وتوصلاً إلى استقامتهم.

وإن كانوا لا يباليون بالهجر؛ فإنهم لا يُهجرون، وذلك لأن الهجر دواء؛ إن نفع فهو خير، وإن لم ينفع: فالأصل أن المؤمن لا يجوز هجره.

وهكذا يقال في كل العصاة: أنهم لا يهجرون إلا إذا كان الهجر يفيدهم بالاستقامة وترك المعاصي؛ وإلا فلا يهجرون" انتهى، من "فتاوى نور على الدرب" (4/63).

ولهذا كان شرط المخالطة للناس، وأساسها الذي تقام عليه: ألا يتأثر دينك سلبيًا، بما عليه حال الناس؛ بل تخالط، وتصبر على ما ينالك، ودينك سليم، لم يتأثر، وعرض صيّن موفور.

قالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "كُونُوا فِي النَّاسِ كَالنَّحْلَةِ فِي الطَّيْرِ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الطَّيْرِ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ يَسْتَضَعِفُهَا، وَلَوْ يَعْلَمُ الطَّيْرُ مَا فِي أَجْوَاهِهَا مِنَ الْبِرْكَاتِ، لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِهَا.

خَالَطُوا النَّاسَ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَأَجْسَادِكُمْ، وَزَايِلُهُمْ بِأَعْمَالِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ؛ فَإِنَّ لِلْمَرْءِ مَا اكْتَسَبَ، وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ". رواه الدارمي في "سننه" (320) وقال محققه: إسناده صحيح.

وينظر جواب السؤال رقم (245773)

فما المعيار الذي نقيس به علاقتنا إذن؟

المعيار يتكون من ثلاثة أركان:

الركن الأول: مدى حرص صاحبتك على طلب الحق، والانتفاع به متى تبين لها؛ بحيث يكون الوصال سبباً في الهداية، وما ذكرته في سؤالك دال على قابليتها للخير والاهتداء.

الركن الثاني: مدى احترامها للاختلاف بينكما، واحترامها لعقيدتك وأفكارك وقيمك، فلا تعرض عليك أفكارها معارضة المجادل المهاجم المشكك، وإنما تعرضها عرض المحاور الطالب للهداية؛ ثم هي تكف عنك مدى أردت إيقاف الحوار.

الركن الثالث: مدى اطمئنانك لما أنت عليه، وغياب شعور الاهتزاز الناتج عن سماع أفكارها.

وهذا الركن الثالث هو أهمها؛ فإذا استعنت بالله عز وجل، وبعد الاستعانة: كنت لا تجددين ربياً في دينك مما تسمعين، وتوفر الركبان الأولان = فإن تغليب جانب المصاحبة أحسن.

قال عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود، رضي الله عنه: "خَالِطُوا النَّاسَ، وَزَالِوْهُمُ بِمَا يَشْتَهُونَ؛ وَدِينَكَ لَا تَكَلِّمْنَهُ" رواه وكيع في الزهد (531).

ومتى اختل ركن من الثلاثة بدرجة ظاهرة كان تغليب جانب الفراق أحسن.

وأوصيك إن اخترت المصاحبة أن تتخوليتها بالنصيحة فلا تسرفي عليها فتسأم، وأن تغلبي جانب جودة العلاقة وحسن الخلق والرفق وحسن الصحبة على جانب النقاش الفكري فإن الناس يستفزهم الشيطان للجدل، بينما يعمل السلوك الحسن في نفوسهم عمل السحر.

وعن الحسن البصري قال: "المؤمن يداري ولا يماري، ينشر حكمة الله، فإن قُبِلت حمد الله، وإن رُدَّت حمد الله". انتهى، من "أخلاق العلماء" للأجري (ص/58).

وإذا حصل اختلال في الشروط، أو لم تطمئن نفسك نتيجة لمستجدات العلاقة، فنرجو أن يكون اطلاعك على جواب سؤال (كل صديقاتها غير ملتزمات فهل تقاطعهن؟) مفيداً لك، فسيكون هو القرار الأمثل.

والله أعلم.